فهذه دراسة في الرواية الحوارية في العراق على وفق تأسيسات(ميخائيل باختين) لرواية (الأصوات المتعددة)، ولا تُنكر جهود (باختين) (١٨٩٥_١٩٧٥) م، في إيجاد شكل جديد لروايةٍ تتسم بالتعددية، والشمولية، وتضم شخصيات لها أنماط وعيٍ متعددة تتقابل هذه الشخصيات، وتتواجه، وتتصارع لتثير الجدل حول نفسها، وحول الواقع، إذ أخذت هذه الدراسة على عاتقها تطبيق مفاهيم النظرية على النصوص الروائية العراقية التي إستفادت من معطيات (باختين) في الشكل الجديد للرواية، وإنتاج نص روائي ذي شمولية يحمل وجهات نظر عدة، كما يحمل أفكار شخصياته الفلسفية، والإجتماعية، والثقافية، وهي لا تخلو من حمولات أيديولوجية متعددة تتعدد بتعدد تلك الشخصيات.

تحدد الدراسة نفسها في المدة الزمنية الواقعة ما بين(٢٠٠٣_ ٢٠٢٠) م لوجود الكثير من الدراسات التي تناولت، وعرضت للروايات العراقية ذات الطابع الحواري في شكلها الأول وخير مثال على تلك روايات رواية (النخلة والجيران) و(خمسة أصوات) لـ(غائب طعمة فرمان) وكذلك رواية (الرجع البعيد) لـ(فؤاد التكرلي) و(البحث عن وليد مسعود) لـ (جبرا إبراهيم جبرا)، إذ تناولتهم دراسات سابقة مثل (البناء الفني في الرواية العربية في العراق) (د. شجاع مسلم العاني)، ودراسة

(الصوت الآخر) للناقد العراقي (فاضل ثامر)، كما ظهرت دراسات أكاديمية في الآونة الأخيرة مثل (الصوت الآخر في الرواية العراقية دراسة في المبدأ الحواري) لـ(باسم صالح)، وكذلك دراسة (تعدد الأصوات في الرواية العراقية دراسة في مستويات وجهة النظر) لـ (هديل عبد الرزاق)، إلاَّ أن ما يطغي على هذه الدراسات أنها تحوم حول حقب زمنية متشابهة في الدراسات النقدية مثلت الشكل الأول لظهور الرواية الحوارية في العراق في فترة الستينيات. فيما تحاول هذه الدراسة الوقوف على النماذج الروائية في فترة زمنية إمتدت من (٢٠٠٣ الى ٢٠٢٠) شهدت تغيرات واضحة في البناء الفني، والموضوعي للرواية وسط متغيرات سياسية، وإجتماعية، وثقافية صاحبت هذا النتاج، وتتبع الدراسة أثر تلك المتغيرات على الشكل الروائي، وأين يتجه مسار الرواية الحوارية، وحجمها على خارطة هذا النتاج الروائي المعاصر، ولاسيما أن الرواية الحوارية تتمتع بخصوصية عالية من الوعي في الجانب الإبداعي لدى الكاتب تتمثل في فهمه لمعطيات نظرية (باختين) ليتجاوز الجزء الظاهري منها، والتمعن في الجزء الفلسفي الآخر، لتمكنه هذه المعطيات من إنتاج نماذج تطابق تلك النماذج التي قدمها (دوستويفكسي) في أعماله، والتي إجترح (باختين) نظريته على ضوئها أو على الأقل تقترب منها، إذا أخذنا بنظر الإعتبار المتغيرات بين بيئات الإنتاج الروائي. وجاء سبب إختيار موضوع هذه الدراسة، هو قلة الدراسات الأكاديمية الكاشفة عن حقيقة هذا النوع من الرواية – الرواية الحوارية– وبالتحديد الروايات الواقعة ضمن فترة الدراسة (٢٠٠٣_ ٢٠٢٠) وكذلك أهمية النظرية في الحقل السردي فهي محط إهتمام، وعناية تستحق الدراسة.

قسمت هذه الدراسة على ثلاثة فصول، سبقت هذه الفصول بتمهيد نظري يُعنى بالجانب النظري للنظرية الحوارية، وأهم مفاهيمها في الرواية، وقُسم على ثلاثة محاور جاء المحور الأول لتوضيح أسس النظرية عند (باختين) وأبرز مرتكزاتها،

فيما جاء المحور الثاني يدور حول طبيعة الرواية الحوارية قبل ٢٠٠٣ في العراق، وتمثلت في البداية لهذا النوع من الرواية مع (غائب طعمة فرمان) و(فؤاد التكرلي) فيما عنى المحور الثالث في دراسة الرواية الحوارية بعد ٢٠٠٣م، والوقوف على أهم ملامحها لتمهد إلى الفصول القادمة من الدراسة، فجاء الفصل الأول(تعدد أشكال الوعي والأيديولوجيا في الرواية الحوارية) مهتماً بالجانب التطبيقي لمفاهيم النظرية وتوزعت هذه المفاهيم على ثلاثة مباحث، جاء الأول منها في الوعي الذاتي للبطل على وفق ما نظرَّ اليه (باختين)، والمبحث الثاني جاء في وعي البطل بالعالم أو الواقع من حوله، وعلاقات التفاعل بين الطرفين. أما المبحث الثالث من هذا الفصل فقد جاء في التعدد الأيديولوجي عند الشخصيات في الروايات الحوارية ولا سيما العقائدي منه.

أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان (التعدد اللغوي وأشكاله في الرواية الحوراية) وقسم هذا الفصل على مبحثين، حمل المبحث الأول منه عنوان التعدد اللغوي ليسلط الضوء على أبرز شكلين من أشكال هذا التعدد منه التهجين بحقله العام، والتهجين اللغوي في حقله الخاص عبر تعدد اللهجات، وتنوعها. فيما جاء المبحث الثاني منه في الأجناس المتخللة في الرواية الحوارية، ودُرِست حسب ظهورها في النماذج المعدَّة للدراسة، فقسمت على أجناس أدبية مثل (الشعر، والقصص، والرسائل) وأخرى غير أدبية مثل (المذكرات، والوثائق، والنصوص الدينية)، بينما خصص الفصل الثالث لـ (البناء الفني للرواية الحوارية) إذ دُرِس في هذا الفصل البناء الفني للرواية الحوارية عبر ثلاثة مباحث، جاء الأول منها في وجهة النظر وضرورة تعددها، وتنوع زوايا النظر في النصوص الروائية الحوارية، أما المبحث الثاني فقد سلط الضوء على عنصر الزمان، ومدى براعة الكاتب في توظيفه ليكون ذا فاعلية وتجدد في النص يواكب مسار الأحداث مع الشخصية دون أن

ينفصل عنها، وإعتنى المبحث الثالث في عنصر المكان، وتأثيره في الشخصيات، ووجهات نظرها وأفكارها وإنطباعاتها عنه. واجهت الدراسة عقبات عدَّة تمثلت في الصعوبة على الحصول على النماذج الروائية، وفحصها لتكون ضمن النوع الحواري إضافة إلى ضيق الوقت الذي لا يتسع للإلمام بكل تلك النماذج.

إن هذا الدراسة لا تدعي الكمَّال، وما هيَ إلاَّ محاولة تضاف إلى محاولات أُخر في الدراسات لهذا النوع من الرواية، ولا سيَّما ضمن المنجز الروائي العراقي، وهي تفتح أبواباً للأسئلة، وإثارة الفضول تجاه الرواية الحوارية، ومستقبلها، وحيزها ضمن النتاج العراقي لدى الباحثين.